«المجزرة» في عرض أول لن يرى النور في بيروت

أثينا ـ هدى حوّا

لمناسبة ذكرى مرور ٢٣ عاماً على مجزرة مخيمي صبرا وشاتيلا في أيلول ١٩٨٢، دشّن في أثينا ـ اليونان العرض الاول لفيلم وثائقي حول هذه الذكرى المؤلمة تحت عنوان «المجزرة». والفيلم من حيث إخراجه بسيط، كناية عن مقابلات منفردة في حجر مغلقة مع ستة من المنفذين، ارتجى مخرجوه ان يتدخلوا اقل ما يمكن، فحتى صور المجزرة عرضت في اطار المقابلات لا بشكل مستقل، والوجوه التي أخفتها الكاميرا تركت للغة الجسد ان تتكلم. ربما لهذا السبب كان التأثير فجا وحيا، وبالتأكيد مؤلما، وجها لوجه مع وقائع مروّية عن قتل همجي ونوازع الجزء الظلامي الذي نخشاه في البشر.

«الفيلم لا يخصّ فقط واقعة معيّنة»، تقول المخرجة الالمانية مونيكا بيرغمان في حديث أجرته قبل بدء العرض مع الصحافة اليونانية يوم الاربعاء الماضي في ١٤ ايلول. وتضيف: «أردنا له أن يكون تقريرا عن واقعة عنف على المستوى الفردي والجماعي» وبالتركيز «على سيكولوجيا المذبحة». وتشير الى ان «الاشخاص الستة الذين تكلموا في الفيلم تبدو عليهم الحاجة للاعتراف كنوع من العلاج»، ملاحظة انهم «لم يندموا على ما فعلوا». والفيلم لن يجري عرضه في لبنان، بحسب المخرجة، لأن السلطات اللبنانية تعتبر ان عرضاً شبيهاً سيؤجج مشاعر العداء، وقد صدر عام ١٩٩١ عفو عام عن جميع جرائم الحرب. وعبّرت المخرجة عن اعتقادها «بأن المجتمع الذي لا يواجه ماضيه من المحتمل اكثر ان يعيشه من جديد». نال الفيلم، الذي ساهم في تحقيقه ايضا لقمان سليم وهيرمان تايسن، جائزة النقّاد في مهرجان برلين للأفلام المُوازية.

تناولت الصحف اليونانية، خاصة الاقرب منها الى اليسار، فيلم «المجزرة» كحدث. وصفته صحيفة الفترويتيبيا بـ«التوثيقي الصادم»، فالفيلم «يدخل في سيكولوجيا التعذيب ويبيّن التفاصيل المروّعة لمذبحة، مظهرا الى اي حدود غير متخيّلة وغير متوقّعة يمكن ان يصل العنف الجماعي وجنون الحرب». واعتبرته الصحيفة «توثيقا ضروريا». وأشارت صحيفة «تا نيا» ان الوقائع مروّعة إن عاشها المرء قد تقوده الى الانتقام العشوائي او مستشفى الامراض العقلية، لكن الفيلم هو اقرب الى التوثيق التلفزيوني منه إلى السينمائي. أما صحيفة «ريزوسباتسيس» فأشارت الى العلاقة الوثيقة للدور الاسرائيلي في العملية كما اظهرته المقابلات. والاحاديث، بحسب الصحيفة، تقول لك ان هؤلاء المنفذين قد تحولوا الى ماكينات وتشعر بأن وحوشا، وحوشا بكل معنى الكلمة، موجودة في داخلهم. وتضيف ان ذلك يدعوك الى التفكير في منفذين مشابهين في العراق وأميركا اللاتينية وغيرهما. لكنها اعتبرت ان الجريمة اكبر من الفيلم الوثائقي، وتسجّل عليه عدم شرحه الكافي لما جرى، فالمشاهد الذي لا يعرف مسبقا ما حصل من الصعب ان يفهم ما يرى. ويشجع التعليق توثيقا لأحداث شبيهة حصلت في اماكن مثل يوغسلافيا والعراق ورواندا.

ما يسمح للمشاهد ان يستمر في المتابعة ان سرد الوقائع المؤلمة يحصل في الجزء الاخير من الفيلم، بينما يجري في البداية استعراض الخلفية الاجتماعية للمتحدثين، والتدريبات التي حصلت في وقت سابق في دولة اسرائيل، والانفعال الذي تركه اغتيال بشير الجميّل كدافع انتقامي مباشر. لكنه، على الرغم من ذلك، لا يجنب المشاهد لاحقا حالة الصدمة والاعجاز عن التعليق. وبشكل عام، تشير المقابلات إلى ان المدبرين اسرائيليون وفي ادّق التفاصيل، والفاعلون افراد فرقة «الصدم» في «القوات اللبنانية». وفي وسط هذا السرد المريع، نلمس نسمة صغيرة من التفاؤل في الجنس البشري، فالمشاكل الوحيدة التي واجهت تنفيذ المجزرة، كما روى احدهم، جاءت من الاشخاص الذين رفضوا ان يشاركوا.